الرسالـــــة

قال الشافعي : أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نَجِيح عن مجاهد في قوله : (وإنه لذكر لك ولقومك) قال : يقال : ممن الرجل ؟ فيقال : من العرب . فيقال : من أي العرب ؟ فيقال : من قريش . (ص 14) .

قال الشافعي : وما قال مجاهدٌ من هذا بيّنٌ في الآية مستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير .

فخص جل ثناؤه قومَه وعشيرَتَه الأقربين في النّذِارة وعمّ الخلقَ بها بعدهم ورفع بالقُرَآن ذِكر رسول ا ثم خص قومه بالنّذِارة إذ بعثه فقال : (وأنذر عشيرتك الأقربين) (ص 15) .

وزعم بعض أهل العلم بالقُرَآن (1) أن رسول ا قال : يا بني عبد مناف إن ا بعثني أَن أُنذرَ عشيرتي الأقربين وأنتم عشيرتي الأقربون . (2) (ص 16) .

قال الشافعي : أخبرنا بن عيينة عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد في قوله : (ورفعنا لك ذكرك) قال : لا أُذكَرُ إلا ذُكِرتَ معي : أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً رسول ا .

يعني - وا أعلم - ذكرَه عند الإيمان با والآذان . ويَحتمل ذكرَه عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية .

فصلى ا على نبينا كلما ذكره الذاكرون وَغَفَل عن ذكره الغافلون وصلى عليه في الأولين والآخرين أفضلَ وأكثرَ وأزكى ما صلى على أحد من خلقه . وزكانا وإياكم بالصلاة عليه أفضل ما زكى أحداً من أمته بصلاته عليه والسلام عليه ورحمة ا وبركاته وجزاه ا عنا أفضل ما جزى مرسلاً عن من أُرسل إليه فإنه أنقذنا به من الهلكة وجعلنا في خير أمة أخرجت للناس دائنين بدينه الذي ارتضى واصطفى به ملائكته ومن أنعم عليه من خلقه . فلم تُمس بنا نعمة ظهرت ولا بَطَنَت نلنا بها حظاً في دين ودنيا أو دُفِعَ بها عنا مكروه فيهما وفي واحد منهما : إلا ومحمد صلى ا عليه سببها القائدُ إلى خيرها والهادي إلى رشدها الذائدُ عن الهلكة وموارد السّوء في خلاف الرشد المنبّهُ للأسباب التي تورد الهلكة القائمُ بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها . فصلى ا على محمد وعلى آل محمد كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم إنه حميد مجيد . (ص 17) .

وأنزل عليه كتابه فقال : (وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد) (فصلت 41 - 42) فنقلهم من الكفر والعمى إلى الضياء والهدى وبيّن فيه ما أَحَلّ : مَنّاً بالتوسعة على خلقه وما حَرّم : لما هو أعلم به من حظهم في الكفّ عنه في الآخرة والأولى . وابتلى طاعتهم بأن تَعَبّدَهُم بقول وعمل

وإمساك عن محارمَ حَمَاهُمُوها وأثابهم على طاعته من الخلود في جنته والنجاة من نقمته : ما عَظُمَت به نعمته جل ثناؤه . (ص 18) .

وأَعلَمَهُم ما أَوجب لأهل طاعته .

وَوَعَظَهُم بالأخبار عمن كان قبلهم ممن كان أكثرَ منهم أموالاً وأولاداً وأطولَ أعماراً وأحمدَ آثاراً فاستمتعوا بخلاقهم في حياة دنياهم فأذاقهم عند نزول قضائه منا ياهم دون آماله ونزلت بهم عقوبته عند انقضاء آجالهم ليعتبروا في أنف الأوان ويتفهموا بِجَلِيَّة التبيان ويتنبهوا قبل رَين الغفلة ويعملوا قبل انقطاع المدة حين لا يُعتِب مذنب ولا تؤخذ فدية و (تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) (آل عمران 30) (ص 19) .

فكل ما أَنزل في كتابه - جل ثناؤه - رحمة وحجة عَلِمه من علمه وجهله من جهله لا يعلم من جهله ولا يجهل من علمه .

_____ .

(1) قال الشيخ أحمد شاكر : ضبطناه هنا وفي كل موضع ورد فيه في الرسالة بضم القاف وفتح الراء محققة وتسهيل الهمزة . وذلك اتباعاً للإمام الشافعي في رأيه وقراءته . ا . ه وانظر تاريخ بغداد 2 / 62 .

(2) ورد بمعناه في البخاري ومسلم وانظر الدر المنثور 5 / 95 - 98